مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 18 العدد: 02 السنة 2026 ص 303 - 323

تاريخ الإرسال: 2026/07/29 تاريخ القبول: 2026/11/04
تاريخ النشر: 2026/11/16

تشكلات ملفوظ الأهواء في رواية"حراس الأزقة الضيقة": مقاربة في ضوء سيميائيات الأهواء

Configurations of Passion Discourse in the Novel "Guardians of the Narrow Alleys": An Approach in Light of the Semiotics of Passions

نجاة غقالي[1]
جامعة باتنة1، الجزائر، [1]nadjet.ghoggali@univ-batna.dz
مخبر المتخيل الشفوي وحضارات المشافهة والكتابة والصورة – جامعة باتنة1

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في أشكال حضور الأهواء وتجلياتها في رواية "حراس الأزقة الضيقة" للكاتب الجزائري بشير مفتي، بوصفها خطابا سرديا مؤثرا في الإنسان، يجعله يعيش تجربة إنسانية تخييلية فريدة. كما تأخذ بعين الاعتبار ما يتصل بالتلفظ السردي من أبعاد مؤثرة في إنجازه، ومن أبرزها الأهواء النفسية التي مهّد لها كلٌّ من "غريماس" و"فونتاني" في أبحاثهما، حيث أكدا أن البعد الهووي يسهم في تحديد العلامة السيميائية ضمن أنساق هُويّاتية، يتخذ من خلالها الخطاب مسارًا دلاليًا تتجلى فيه مختلف الانفعالات والأهواء.

انطلاقا من هذا التصور النظري، سعت الدراسة إلى الإجابة عن الإشكالية الآتية: كيف وظف السارد لغة العواطف بما يُنتج دلالات ملفوظ الأهواء التي تقترحها الشخصيات أثناء تفاعلها مع الوقائع السردية؟

الكلمات المفتاحية: سيميائيات الأهواء؛ العلامة السيميائية؛ الملفوظ السردي، الأشياء، النفس، المسار الدلالي

Abstract:
This study aims to investigate the forms and manifestations of passions in Guardians of the Narrow Alleys, a novel by the Algerian writer Bashir Mufti, considered as a narrative discourse that profoundly affects human beings by addressing both their conscience and intellect and by immersing them in a unique imaginative human experience. The study also takes into account the various dimensions associated with narrative enunciation and their impact on the production of discourse, particularly the psychological passions theorized by Algirdas Julien Greimas and Jacques Fontanille. Both scholars emphasized that the affective dimension contributes to the determination of the semiotic sign within identity-based systems through which discourse follows an imaginative semantic trajectory, transforming enunciation into a psychological entity in which diverse emotions and passions are manifested.
Based on this theoretical perspective, the study seeks to answer the following question: To what extent has the narrator succeeded in employing language to displace the sign from its conventional referents and to transform the meanings of objects in ways that generate new psychological significations and reveal the emotional dimensions proposed by the characters through their interaction with narrative events?
Keywords: Semiotics of Passions; Semiotic Sign; Narrative Enunciation; Objects; Psyche; Semantic Trajectory.

المؤلف المرسل: نجاة غقالي NADJET.GHOGGALI@UNIV-BATNA.DZ

1.مقدمة:

بات من الثابت اليوم أن الأهواء تمنح الذات الإنسانية بعدا نفسيا أصيلا، يتولى استحضار مجموعةمن العواطف التي يتعذر بتغييبها إدراك حقيقة الإنسان، إذ يحتاج تدبرها إلى تبيّن معقوليتها في توليد البعد الانفعالي الذي حددته الأبحاث السيميائية الحديثة، بهدف بناء نظرية سيميائية للأهواءتفتح ميدانا للبحث ينبني على مفاهيم وآليات، من شأنها أن تتيح النظر في البعد الأهوائي الذي يسبق أي فعل سردي، ليحقق بذلك المعادلة السيميائية بين حالة النفس وحالة الأشياء بحسب "ألجيرداس غريماس" و"جاك فونتاني"،اللذين انطلقا منثوابت معينةتحرر كفاية ملفوظ الأهواء في تتبع مسار توليد دلالاته، ضمن سردية تتداخل فيها حالات النفس لتشكيل البنيات الخطابية للأهواء التي ينتجها المعنى العام للعمل الروائي.

وتمثل رواية "حراس الأزقة الضيقة" للكاتب الجزائري "بشير مفتي" واحدة من النصوص الروائية المعاصرةالتي تنفتح على ملفوظ استهوائي خفي، تتجلى من خلاله أهواء متعددة تسهم في تشكيل مسار دلالي متكامل باختلاف أبعاده السيميائية التي ينهض عليها السرد.فكيفبنى السارد مساره الدلالي بما يخدم إنتاج المعنى داخل نسق الخطاب الروائي؟

2.الإطار النظري لسيميائيات الأهواء:

1.2 مفهوم الهوى:

يحتل الهوى أهمية بالغة في حياة الإنسان، إذ يعد وسيلة للتعبير عن عواطفه وانفعالاته في خطابه، وقد أشار الأديب إبراهيم الحصري إلى منزلة التعبير اللغوي بقوله: «الإنسان إنما فُضّل على الحيوان بالنطق المعبر عما يخطر في النفس، المخبر بما يهجس في الحس»[1]، وبناءً على هذه الوظيفة التواصلية للهوى،

يتضح أن تحديد مفهومه: لغةً، واصطلاحًا، يُعد مدخلًا ضروريًا للكشف عن آليات تشكل سماته داخل الخطاب الروائي.

والهوى في اللغة لفظ مشتق من الفعل "هوى" «أي أحب، والهوى محبة الإنسان لشيء وغلبته على قلبه، ومتى تكلّم بالهوى مطلقًا لم يكن إلا مذمومًا حتى يُنعت بما يخرج معناه كقولهموى حسن، هوى موافق، والهوى أيضًا العشق والتعلّق والشهوة».[2]

إحالةً على ما ورد في الدلالة اللغوية، فإن الهوى يرتبط بالمشاعر والأحاسيس التي تسيطر على النفس البشرية، وقد يصدر عنها بدافع الخير، أو الشر غير أن هوى الشر غالبًا ما ينظر إليه بوصفه مذمومًا، وهو ما عكسته المعاجم العربية في كثير من تعريفاتها، كما أجمع عليه الدين الإسلامي إذ اعتبره سبيلًا إلى الضّلال، قال تعالى في الآية16 من سورة طه:«**فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى**» ، أما هوى الخير فيُعد ميلًا فطريًا وشعورًا طبيعيًا يعبر عن جانب من جوهر الإنسان ويوجّه سلوكه نحو الخير والفضيلة.

ولا تختلف دلالة الهوى في اللغة عن دلالته الاصطلاحية؛ إذ يدل على حالة انفعالية قوية تستولي على العقل وقد تبلغ حد إلغاء دوره. وفي هذا السياق قيل:« فالهوى يخدع العقل ويبهره حتى يرتبط بملكه وينخرط في سِلكه»[3]، فهو قوة عاطفية مؤثرة في تشكيل الانفعال في سلوك الإنسان.

يرتبط مفهوم الانفعالات في تحديد "جاك فونتاني"بحالات النفس،والتي يبرز شكلها السلوكي في الحالة الاستهوائية التي تمثل المفهوم المركزي الذي قامت عليه نظريات سيميائيات الأهواء، «وهذا ما يجعل الهوى مجموعة من الآثار المعنوية التي تظهر في الغالب الأعم في الحقل السردي، لذلك يعبر الهوى عن نفسه من خلال

حالات مشخصة متضمنة في السردية ذاتها، ولكنه مرتبط بذات محددة من خلال فعلها بشكل مسبق»[4]،فيتجاوز الانفعال اللفظي ليصبح قوى محركة ومشكلة للسرد.

ويثير هذا التصور فكرة أساسية مفادها أن الأهواء هي المحرك الداخلي الذي يوجه الفعل سلوكا أو كتابة، حيث لا تعتبر مجرد حالة وجدانية فقط بل هي أيضا آلية هووية يمارس بها المبدع فعل الكتابة التي تستوعب كل حالاته النفسية، ليشرع في عملية السرد، وهو ما يسميه "أمبرتو إيكو" في كتابه "من السوبرمان إلى الإنسان الأرقى بالكيمياء"،فيقول:«إنه من المستحيل أن نتذوق طعم الملح إذا كنا نأكل حلوى من عسل، فمهما كانت ثقافة الإنسان ومهما بلغت قدرات المرء على التحكم في حواسه فإن الكيمياء لا تخطئ أبدًا، وكما أنها تجعل كل الأفواه السليمة تحس بحلاوة الحلوى في مذاقها،كذلك العواطف والأهواء كيمياء خاصة يمكن إثارتها وإهاجتها بنظم مخصوص من طرائق النظم الأدبي»[5]، وعلى هذا النحو الذي يرجع فيه إيكو السرد إلى كيانه وجوهره المبني على التعاطف، صار ما يسميه على سبيل الاستعارة "بالكيمياء" هو الحبكة جيدة البناء، الدالة على الظواهر النفسية لحالات الشخصيات التي تجسد الهوى في النص السردي.

2.2الأهواء في الدرس السيميائي:

تمثل جهود غريماس في بناء المشروع السيميائي منعطفًا حاسمًا في تطور الدرس السيميائي،إذ فتحت آفاقًا جديدة لإعادة النظر في مفهوم الدلالة، فلم تعد ترتبط بالكفاءة الإدراكية وحدها وإنما أصبحت تستند أيضا إلى الطاقة الانفعالية والوجدانية، التي تجعل من المتلفظ ذاتا نفسية إلى جانب كونه ذاتًا عارفة.

انطلاقا من هذا التصور برزت الحاجة إلى بناء تركيب سيميائي قادر على تمثيل الأبعاد الانفعالية داخل العوالم السردية، باعتبار أن البعدين الهووي والسردي

للخطاب متلازمان، ولا يمكن فهم أحدهما بمعزل عن الآخر إلا من خلال التفاعل المستمر بين البنية السردية والحياة الانفعالية للذات.

وتجسيدا لهذا التوجه، قدم غريماس وفونتاني في كتابهما المشترك والمعنون بـ:"سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس"(الصادر سنة 1991م)، نموذجا للتحليل السيميائي أصبح قادرا على«احتواء مختلف أشكال النشاط البشري بدءً من النصوص الأدبية وانتهاء إلى أبسط شكل من أشكال السلوك الإنساني؛ فدراسة الأهواء تتشكل وفق تصورهما باعتبارها المقابل للفعل؛ إذ يعدها«تنظيما توزيعيا لحالات النفس المرتبطة بالتمظهر الخطابي للكينونة الموجهة للفواعل السردية»[6]، الحاملة لآثار دلالية خاصة تتجسد في الانفعالات العاطفية التي تطفو على سطح الخطاب وتمثل بؤرة المقاربة السيميائية للأهواء.

3. تشكلات ملفوظ الأهواء في رواية حراس الأزقة الضيقة:

يتمظهر نسق البنية الخطابية لملفوظ الهوى في بعده التركيبي باعتباره تجليا للتلفظ الصادر عن فيض هوى الذات، إذ «يتخذ شكلا إنجازيا تتداخل فيه الأحاسيس بوصفها استراتيجية لتخطيب المشاعر وفي هذا الصدد تتعاضد القوة العاطفية والقوة الصورية لتجسيد الذاتية في الخطاب»[7]، ببناء وحدات لغوية مندمجة داخل خطاب سيميائي استهوائي، يربط النص بعالم الذات الداخلي الذي تجسده المشاعر على نحو غير مباشر، وتسفر عن كون أولي قبل معرفي يتسم بالتوتر ويجسد عالما تحكمه الأحاسيس والانفعالات.

وتحرص الدراسة السيميائية للأهواء على الحفر في أعماق الذات العارفة ذلك القلب الابستمولوجي الذي اقترح غريماس وفونتاني تحليله«بتطبيق مقولة الكلية على الكتلة الانفعالية للإنسان، فينظر إليها باعتبارها كعكة توزع أجزاؤها من الأهواء وفق الحاجات التي تبديها الذات في وضعيات بعينها»[8]، وتتجلى هذه الكتلة في حالة

استهوائية تتحكم في تشكيلها سياقات اجتماعية وثقافية، ومن ثمّ فهي لا تخبر عن شيء جاهز بل تتحدد إمكانات تحقيقها في ضوء الفهم الشامل للإنسان بوصفه كائنا عاطفيا واجتماعيا بقدر ما هو كائن لغوي.

انطلاقا من هذا التصور النظري سنعمل على تحليل نص الرواية فيما سيأتي من الدراسة للكشف عن تشكلات ملفوظ الأهواء واستخلاص آلياته الاستهوائية في بناء خطاب الرواية.

1.3 البنية الاستهوائية لملفوظ الأهواء في الرواية:

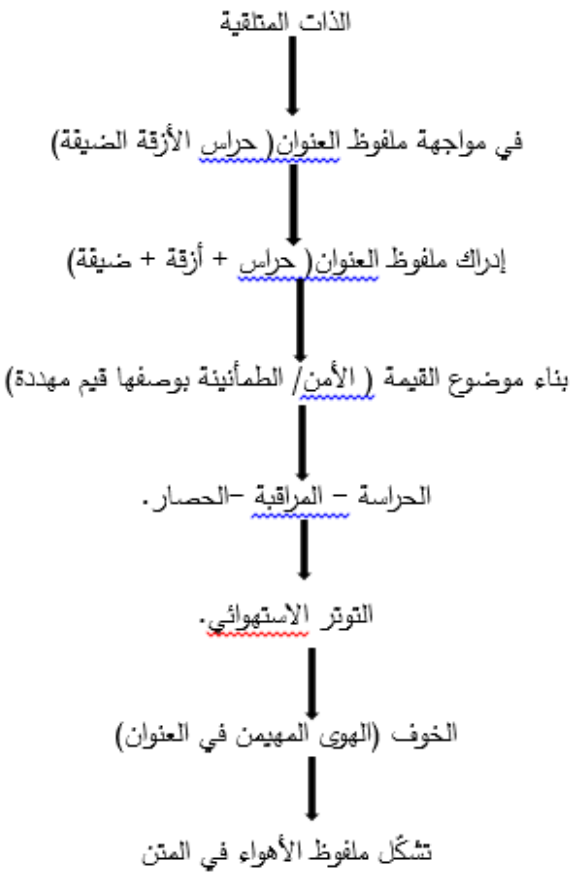
1.1.3 دلالة العنوان وتشكّل البنية الاستهوائية:

يشكل العنوان في الخطاب الروائي عتبة سيميائية موازية للنص إذ يعد«المفتاح الإجرائي الذي يمدنا بمجموعة من المعاني التي تساعدنا في فك رموز النص وتيسير الولوج إلى أغواره وتشعباته الوعرة »[9] ، ومن هذا المنطلق أولت الدراسات السيميائية أهمية خاصة للعنوان بوصفه عنصرًا يوجه أفق انتظار القارئ عبر الإيحاء والإثارة[10]، ويضعه منذ البداية أمام تجربة تفاعلية مع الانفعالات التي تنتظم داخل خطاب الرواية.

ويمثل عنوان "حراس الأزقة الضيقة" اللافتة الأولى التي تستدعي انتباه المتلقي إلى مركزية الأهواء في بناء خطاب الرواية، إذ يوحي منذ الوهلة الأولى بأن الشخصيات والأحداث تتحدد داخل فضاء مكاني مشحون بالانفعالات الفردية والجماعية في تشكيل المسار السردي، وهو ما يمنحه وظيفة استشرافية تتجاوز مجرد التسمية إلى الإيحاء بالبنية العميقة للنص واستباق أفقِه الدلالي والانفعالي، بما يجعله مدخلا أساسيا إلى الكشف عن البنية الاستهوائية التي تؤطر عالم الرواية.

وقد اعتمد الكاتب في تقديم العنوان باعتباره فيزا للنص على مركّب إضافي يكشف عن نسق من العلاقات الأهوائية؛ إذ يتصدر الحراس التركيب بوصفهم

الفواعل الرمزية المسيطرة التي تفرض هيمنتها باشتغالها بالمراقبة المستمرة، بينما تأتي الأزقة في موضع الموضوع الخاضع لهذه السلطة، ثم تعمل الصفة الضيقة على تأكيد الإحساس بالحصار والانغلاق، وبذلك يغدو الانتظام النحوي ذاته منتجا للدلالة، لأنه يكشف عن علاقة غير متكافئة بين ذات تملك سلطة المراقبة وفضاء يخضع لها، الأمر الذي يهيئ المتلقي لتوقع عالم روائي تسوده تيمات أهوائية، مصدرها الريبة والشك والتوتر بوصفها محفزا أساسيا يدفعه إلى اكتشاف الخوف الذي يمثل الأثر الانفعالي المهيمن. ويمكن اختزال ذلك في الخطاطة الاستهوائية الآتية:



ترسيمة رقم 1: الخطاطة الاستهوائية لملفوظ العنوان.

تبرز الخطاطة الاستهوائية أن العنوان يرسم البرنامج الاستهوائي في صورته الإيحائية، وهي البؤرة التي تتبلور داخلها تمفصلات إضافية لملفوظ الأهواء،وتتحول إلى برنامج سردي يؤطر بنية السرد بما يسمح بتتبع الدلالة الاستهوائية في متن الرواية.

2.1.3 تشكُّلات ملفوظ الأهواء في المتن ودلالاتها:

يرتبط المتن السردي بملفوظات أهوائية تتكيف دلالاتها مع الملفوظ الاستهوائي الأول الذي يستشفه المتلقي من العنوان، ومن ثمّ يكتسب الخطاب تركيبه الدلالي عن طريق ملفوظات تحرك الشخصيات وتوجّه أفعالها وتؤطّر اشتغال البنيات الاستهوائية داخل الخطاب،ويمثل الاستهواء منطلق تشكل الأهواء، إذ يحيل إلى جملة من الانفعالات الكامنة التي تسبق تحقق الهوى في الخطاب. لذلك تنطلق جميع ملفوظات الأهواء منه بوصفه حركة دينامية تقوم على جدلية الانفتاح والانغلاق، وتنهض بدور الدافع الحسي الذي يستثير الذات، فتنبثق عنه استجابة جسدية انفعالية تشكل المادة الخام التي يستند إليها خطاب الأهواء في بناء الدلالة ورسم مسارها الحسي في الوجود الإنساني[11]، ومن ثمّ فلا وجود للهوى خارج الاستهواء الذي تنتظم حوله مختلف ملفوظات الأهواء داخل المتن السردي.

يكسر متن الخطاب الخطّية المنطقية للحبكة ويحدث فيها تركيبا مزدوجا يعيد ترتيب البنيات الحكائية وفق نسق جديد يتحكم فيه هاجس التجريب، الذي تبنّى فيه الكاتب أسلوبا من أساليب السرد المركب بتوظيف جانب من السرد البوليسي، والذي يعني حكاية قصتين في آن واحد: قصة القضية وقصة الذات الباحثة عن الحقيقة.

تروي الأولى ما حدث بالفعل في الواقع المسرود، بينما تروي الثانية مسار البحث والكشف التدريجي عن ملابسات القضية، إلى أن تنتهي بإزاحة الستار عن السر الذي بُنيت عليه الحبكة المزدوجة في الرواية، فتتشكل بذلك بنية سردية دينامية تجعل عناصر النسق قادرة على الغوص في أعماق النفس البشرية واستجلاء طاقتها الاستهوائية.

وتحمل الدلالة الاستهوائية في المتن طابعا بوليسيا تشويقيا تجتمع فيه الأحداث المتعددة لتشكيل فسيفساء النص، ضمن حقل من التجارب الاجتماعية

والتوترات المحسوسة التي تحرك شخصيات الأزقّة الضيقة،هدفها تحقيق الربط بين الملفوظات مما ينتج عنه رغبات وتحقيق أفعال، وهو بذلك يحكم العلاقات بين الذات والعالم لذلك جاء الخطاب البوليسي خادما للبعد الهووي؛ إذ أخفى الهوى المهيمن وهو الغيرة وجعل الخوف يتصدّر المشاهد السردية بوصفه الأثر الانفعالي الظاهر، الذي حظي بتبئير عميق لاستغوار الأهواء الباطنية التي تتخلل تفاصيل السرد، وتتفرع منه التجليات الدلالية التي ينتظم من خلالها ملفوظ الأهواء في متن الرواية.

• ملفوظ هوى الحب:

نجد في مقدمة الأهواء المتواترة في خطاب الرواية هوى الحب؛ «فالحب نقيض البغض، والحب الوداد والمحبة، وقد أحبه فهو محبوب[12]»، أما سيميائيا فهو شعور داخلي يتجه نحو الانجذاب لمحبوب مرغوب فيه لإشباع العاطفة، حيث يمثل حالة استهوائية تقوم على علاقة اتصال بين الذات وموضوع القيمة، بما يجعل المحبوب موضوعا للرغبة والسعي إلى المحافظة عليه. فهو يمثل النواة السردية التي تجتمع حولها العلاقات بين الشخصيات قبل أن تدخل مرحلة التوتر، ويتجلى ذلك من خلال حب عدنان لليندة، المرأة التي استطاعت أن تعيد إلى قلبه الشعور بالحب الذي جمعهما وانتهى بالزواج،يقول: «لقد قلت لها إني أحبك وقصدت منها أشياء كثيرة أخرى، الحب بمعنى أن نكون معا وأن نجلس معا وأن نفكر عن بعد في بعضنا البعض»[13]، وهو شعور لطالما افتقدته في تجربة زواجها الفاشلة مع "رضوان"، وهو ما يكشف انتقال الذات من حالة الفراغ العاطفي إلى حالة الوصل بموضوع القيمة، حيث يمثل لها الحب طاقة استهوائية للتحرر واستعادة الذات المسلوبة.

ولا يقتصر ملفوظ الحب على العلاقة العاطفية بل يمتد ليشمل حب "عدنان" للكتب، الذي يعد سمته الأساسية التي جعلته يختلف عن جيرانه الغارقين في الجهل.

والملاحظ أن تعلّقه بها كان منذ حداثة سنّه،يقول: «حبي للقراءة منذ الصغر وشغفي بالكتب، عشقتها وأصبحت قرة عيني وروحي، ومسكني العقلي والعاطفي معا»[14]، فتُظهر هذه العبارة شغف الطبيب الكبير بالكتب فتتشكل لديه الوظيفة الاستهوائية التأثيرية التي تدفعه للبكاء تأثرا بسرقة مكتبته،تلك الجريمة النّكراء التي حوّلت الكتب إلى موضوع للصراع، فينزاح البعد المادي ليفسح المجال للبعد الرمزي بالظهور باعتباره وسيلة لقهر الذات وتعذيبها.

ويكشف السرد لاحقا أن هذا الهوى يمتد إلى "ليندة"؛ إذ يمثل حبها للكتب أحد عناصر التقارب بينها وبين "عدنان"، فالقراءة لم تمنحها الفهم فحسب بل أصبحت أداة ساحرة للاحتجاج والتحرر من سجن الزواج الفاشل،وهو ما سرّع تفاعل كيمياء الهوى والحب بينها وبين "رضوان"، لتنشأ بينهما علاقة وجدانية مفعمة بالمعاني الروحية التي تتقاطع داخلها قيم المعرفة والحرية والكرامة الإنسانية.

وهكذا يمنح ملفوظ الحب السرد مسارا دلاليا أوليا تنتظم حوله العلاقات السردية،إذ يؤسس علاقة اتصال بين الذات وموضوع القيمة قبل أن تدخل هذه العلاقة طور الاختلال بعد طلاق ليندة وتحررها من سلطة رضوان. فتنشأ الغيرة بوصفها أثرا استهوائيا ناتجا عن تهديد الذات بفقدان موضوع القيمة لتصبح الهوى المهيمن الذي يعيد توجيه البرنامج السردي، ويفسر مجمل الأحداث التي يكشف عنها السرد البوليسي في نهاية الرواية.

•ملفوظ هوى الغيرة:

تعني الغيرة لغة «الحميّة والألفة، وهي كراهية المرء اشتراك غيره في حق من حقوقه وتطلق أيضا على التعلّق الشديد بالحبيب والقلق الدائم عن ميله لغيره»[15]، وسيميائيا« قد تنسب الغيرة إلى الحب ولكنها تعيش دائما دليلا على غياب الاحترام»[16]، ويتجلى ذلك في الرواية بوصفها استعارة نصية تتخذ بعدا أخلاقيا قوامه

الشعور بالعداء والرفض تجاه جيرانه لأنهم يكرهون ثقافته، وعدم رغبته في الاختلاط بهم، ومن ثم ارتبط ملفوظ الغيرة بالمؤامرة التي حيكت ضده وهو ما يعبر عن صراع الذات مع الغريم الأول، ممثلا في سلطة الرقابة الاجتماعية التي تسعى إلى محاصرة الطبيب وتكثيف شعوره بالاختناق.

ولا يكتفي النص بالإيحاء بهذه الغيرة، بل يصرح بها من خلال ملفوظات استهوائية تكشف أن منبعها الحقيقي هو "رضوان"طليق "ليندة"، الذي لم يكن يرى فيها شريكة حياة بل موضوعا للتملّك والسيطرة، إذ تقول:«ثم فهمت أنه وجد في استعبادي لذّة خاصة، مريضة وعديمة النبل، يحقق بها سلطة حقيقية كانت تنقصه»[17]، وهو هاجس يكشف أن سلوك "رضوان" لم يكن سوى محاولة لتعويض شعوره الداخلي بالعجز عبر فرض سلطته على امرأة ضعيفة.

وبذلك فإن الدلالة التوتّرية لملفوظ الغيرة والدور الانفعالي الذي يعيشه "رضوان"، كان لهما الأثر الأكبر في تحويل الغيرة من حالة وجدانية إلى برنامج استهوائي يقود إلى الفعل الإجرامي، ويعتمد ملفوظ التهديد كلما ظهر موضوع القيمة في علاقة جديدة، فقد سبق أن هدد "عمر راسم"،ثم يكرر الهوى نفسه عندما ارتبطت بعدنان، وهكذا لم تعد الغيرة مجرد هوى بل أصبحت البرنامج الاستهوائي المهيمن الذي يفسر جميع الأحداث الغامضة، في ضوء الدافع الحقيقي الذي أخفاه السارد بتوظيف السرد البوليسي قبل أن يكشف عنه في نهاية الرواية.

•ملفوظ هوى الخوف:

يتلخص مفهوم الخوف في الدلالة على الفزع، وهو«انفعال في النفس يحدث لتوقع ما يرد من المكروه أو يفوت من المحبوب»[18]،ويحضر الخوف في متن الرواية بوصفه الأثر الانفعالي الأكثر حضورا في البنيات السردية، من خلال انفعالات استهوائية تعيشها الشخصيات في علاقتها بالمكان وسكانه؛ فالطبيب "عدنان" يعيش

في خوف دائم من سلطة جيرانه الذين يراقبون حياته ويحيطونها بالشائعات،فأصبح مقتنعا بالرغم من انعزاله عنهم أنهم يحيكون المؤامرات ضده،ولم يكن الاعتداء على بيته إلا ذريعة لاتّهامه بقضية "قتل صبرينة"، مما يعمّق إحساسه بالغربة والاختناق.

وبالرغم من رفضه للمراقبة فإن شعوره بالخوف يخلق لديه نوعا من التوتر، يدفعه للرضوخ لأعراف جيرانه التي تفرض عليه الارتباط رسميا بليندة، ولكنه كان حريصا على أن يعيشا في جو علاقة زوجية حرة، ليس بالضرورة في فضاء واحد حتى لا يختنقا خاصة أن الزواج لم يكن يعني لليندة إلا ذكريات مرعبة.

ويتجسد هوى الخوف في شخصية "ليندة" التي تعيش حالة استهوائية متوترة تتجلى في تهديدات "رضوان" حتى بعد أن تدرج في الامتيازات والمراتب قالت: «ظننت أنه بعدما أصبح وزيرا سيتغير أو ينشغل بمسائل أهم، لكنه بقي يهاتفني في كل مرة ويخبرني أنني تحت رقابته»[19]، فتنعكس أجواء هذه الهيمنة على جميع الشخصيات الرئيسة في الرواية التي تشع فيها أجواء من الشعور بالاختناق والقلق.

ونلاحظ أن السارد بتوظيفه تقنية السرد البوليسي خرق منطق السرد التقليدي، فجعل ملفوظ الخوف يتصدر المشاهد السردية، بينما ظل ملفوظ الغيرة متخفيا في علامات هووية كامنة في البنية العميقة للنص، لا تتكشف إلا مع نهاية الرواية حين تتجمع خيوط التحقيق، وتتضح حقيقة المؤامرة بمقتل "رضوان سعدي"وتسليم "ليندة"نفسها للشرطة،لتأخذ نهاية الرواية بعدا مأساويا يلخّص البرنامج الاستهوائي الذي قاد الشخصيات منذ البداية.

يتبين من خلال تجلّيات ملفوظ الأهواء أن خطاب الرواية لا يكتفي بتمثيل الأهواء في صورتها الوصفية وإنما ينظمها ضمن تيمات تنتظم في مسار دلالي استهوائي متدرج تتفاعل داخله حالات الذات وتحولاتها في علاقتها بموضوع القيمة

ومن ثم فإن الكشف عن هذا المسار يقتضي الانتقال من تحليل الملفوظات إلى تشخيصها وفق الخطاطة الاستهوائية المقننة عند غريماس وفونتاني.

2.3 الخطاطة الاستهوائية المقننة:

يُقصد بالخطاطة الاستهوائية المقننة في سيميائيات الأهواء: اختزال الأهواء البشرية من المستوى السطحي إلى المستوى العميق لملفوظ الهوى[20]، وهي بحسب"جاك فونتاني" نموذج مستقل يتسم بقيمة استكشافية خاصة، تتجسد في العلامات المضمرة التي تكشف عن عمق ملفوظ الهوى العائد إلى الشخصيات الاستهوائية، وهي تنجز برنامجها السردي من وضعية البداية حتى الوضعية النهائية.

وتعمل الخطاطة الاستهوائية على نقل الأهواء البشرية من المجرد إلى التخطيب الذي يقدمها وفق ترتيب من التماثلات الدالة، جمعها "فونتاني" في مجموعة من العناصر الاستهوائية بما يقابلها في سميائيات العمل على النحو الآتي:

الخطاطة الحكائية المقننة	الخطاطة الاستهوائية المقننة
– الميثاق /التطويع	– التكون
– الكفاية	– التأهب
– الإنجاز	– الصوغ الاستهوائي
– النتيجة	– العاطفة
– الجزاء	– التقويم الأخلاقي

الجدول1: تقابل مراحل الخطاطتين المقننتين

انطلاقا من هذا التقابل، سنعمد إلى تتبع مراحل الخطاطة الاستهوائية لهوى الغيرة بوصفه المهيمن في الرواية، والكشف عن مساره الاستهوائي.

1.2.3 التكوّن:

تمثل مرحلة التكوّن البداية التي تتشكل فيها الذات الاستهوائية وتدخل في حالة معرفة بهوى معين، ويتجلى ذلك في شخصية "رضوان" عقب طلاقه من "ليندة" إذ تكشف معاناته «من جرح نرجسي تافه حدث له في مشواره الحافل بالمناصب والامتيازات»[21]، وهو بمثابة البذرة الأولى لهوى الغيرة التي تكشف عن تشكّل الذات الاستهوائية المشدودة إلى هاجس التملك والسيطرة.

غير أن السرد البوليسي لا يكشف هذه الدوافع منذ البداية بل يحجبها خلف سلسلة من المكائد، ضمن أهواء لم تمنح حق الظهور للغيرة إلا في نهاية *الرواية* وبذلك تظهر ذات الغيور بوصفه الحامل الأول لهذا الهوى بما يمهد ببداية الاشتغال بالموضوع الاستهوائي والانتقال إلى المراحل اللاحقة من مسار الخطاطة.

2.2.3 التأهب:

يعني التأهّب استعداد الذات الاستهوائية لاستقبال المثيرات التي تغذّي الهوى، فهو يمثل المرحلة التي تلتقي من خلالها المحددات الضرورية للشعور بهوى الغيرة أو بنوع منه،ويتجلى ذلك في شخصية "رضوان" الذي ظل يستحضر "ليندة" في وعيه بعد طلاقها، فتحول هوى الغيرة إلى استعداد نفسي دائم يوجّه سلوكه، وهي تكشف عن ذلك بقولها: «بقي يهاتفني ويخبرني أني تحت رقابته ولن يسمح لي أن أكون سعيدة في الحياة»[22]. فالمراقبة لم تعد مجرد ردّ فعل عادي بل أصبحت استعدادا دائما للتدخل في حياتها الخاصة، وهو ما أدى إلى شعورها بالخوف، وهكذا فالتأهّب حالة نفسية تهيّء الذات الاستهوائية لاستمرار هوى الغيرة وتحويله إلى أفعال لاحقة.

3.2.3 الصوغ الاستهوائي:

تنتقل الغيرة في هذه المرحلة من مجرد استعداد نفسي إلى حالة انفعالية تم صياغتها في أفعال وبرامج سردية، باعتبارها تحقيقا للهوى الذي يجعل الذات تكتشف سبب حقدها الداخلي الذي يوجّه أفعالها، ويتجلّى في الرواية من خلال استغلال

"رضوان" منصبه لإقناع رئيس المفتش "نذير بيراف" بالضغط على الطبيب أثناء التحقيق وإدانته،باستغلال عطف الطبيب على الفتاة المتشرّدة وإسكانها في بيته، وتحويل ذلك إلى تهمة تقوده إلى السجن.

ويمكن للصوغ الاستهوائي أن يتجسّد في استغلال النّفوذ وبناء مكائد أكثر إحكاما، إذ يغري "رضوان" شبان الحيّ الشعبي بالمال لتجنيدهم في سرقة المكتبة واختطاف "صبرينة"، كوسيلة لإبعاد كل منافس عن طليقته،وهذا ما تؤكده قائلة: «كلما سمع برجل يقترب منّي أوقعه في مطبّ شيطاني»[23]، وهكذا تتحول الغيرة إلى طاقة استهوائية توجّه أفعال "رضوان" وتؤكّد هيمنة هذا الهوى على سلوكه.

4.2.3 العاطفة:

تحيل العاطفة إلى تجسيد الهوى في الذات فيظهر في هيئة ردود فعل جسدية وانفعالية تكشف اضطرابها النفسي، ويتجلى ذلك في شخصية "رضوان" عندما لم يعد قادرا على كتمان غيرته، فواجه "ليندة" بعد اعتدائه على "عمر راسم"بأنه لن يتركها تهنأ معه،وهو ملفوظ يكشف عن بلوغ الغيرة درجة عالية من الانفعال والتملّك، كما يتجدد هذا الانفعال عندما يتصل بها هاتفيا،فيقول مبتسما:«هذه المرة إن تماديت بعلاقتك بالطبيب سيدفع الثمن غاليًا»[24]، وبذلك تتجسّد الغيرة في ملفوظ "رضوان" وسلوكه معلنة بلوغها ذروة التوتر الانفعالي.

5.2.3 التقويم الأخلاقي:

ينتهي التقويم الأخلاقي بالكشف عن مآلات هوى الغيرة وقيمته الأخلاقية، وفق الأحكام التي تفرضها الثقافة أو الفاعل داخل المشهد الاستهوائي، ولا تتّضح هذه المآلات في الرواية إلا بعد أن يتوصّل "عدنان" إلى رسالة "ليندة" التي تخبره بأن طليقها هو المسؤول عن المؤامرة التي كادت تدخله السجن، وأنه كان وراء كل ما حدث له، ثم تعلن قرارها بالانسحاب من حياته بقولها: «أخبرك بهذا وأنا حزينة

وباكية وربما ستفهم قراري بالخروج من حياتك»[25]، وهو ما يفسر اختفاءها عن "رضوان" وعيشها فترات وحيدة في شقتها. وهكذا تواجه قدرها بعدما أيقنت أن طليقها شخص نذل لا تقوى على الانتصار عليه، فتقرر قتل "رضوان" ليغدو هذا الفعل الخاتمة المأساوية لمسار الغيرة قبل أن تسلّم نفسها للشرطة.وبذلك ينتهي المسار الاستهوائي إلى تقويم أخلاقي يدين هوى الغيرة، ويكشف ما يفضي إليه من انهيار القيم وتدمير الذات والآخرين.

4.الخاتمة

اعتمدت هذه الدراسة في تحليل البنية الاستهوائية لرواية "حراس الأزقة الضيقة"، على جملة من المفاهيم الإجرائية التي قامت عليها نظرية سيميائيات الأهواء، كما بلورها "غريماس وفونتاني" في إطار مدرسة باريس،وانتهت إلى النتائج الآتية:

- تقوم سيميائيات الأهواء على مداخل متعددة لدراسة ملفوظ الهوى في الخطاب الروائي، منها ما هو معجمي يستند إلى اللغة، والثقافة، والدين، ومنها ما هو اصطلاحي يهتم بكل ما هو خطابي نصي لنماذج مُنجزة على الأهواء وعلى تعدد المداخل، فهي تلتقي في محاولة الكشف عن بنية ملفوظ الهوى وانفتاحه على مناطق إنسانية جديدة تسهم في إغناء المفاهيم النظرية، وتوسيع آليات اشتغالها من خلال تتبع الدلالة ومسار تشكلها في رواية "حراس الأزقة الضيقة.
- كشف تحليل العنوان على معان دلالية توحي بالاختناق والمراقبة والتوتر،مما هيأ مناخا استهوائيا يقوم على الخوف، ومهّد لبناء المسار السردي الذي انتظمت داخله بقية الأهواء.
- أتاحت عملية تحليل ملفوظ الأهواء في المتن الروائي البحث عن الانفعالات المتجلية في خطاب يجسّد الغيرة،الهوى المهيمن الذي انتظمت حوله بقية

الأهواء وفي مقدمتها الحب والخوف، مما يؤكد أن البنية الدلالية العميقة تولّد شبكة من المشاعر تتفاعل وفق مسار الطاقة الاستهوائية للشخصيات.

- أظهر تحليل الخطاطة الاستهوائية المقنّنة أن الغيرة لم تقدم بوصفها هوى عابرا، بل تشكلت عبر مسار استهوائي متدرج راعى مختلف المراحل السيميائية، فتحوّلت من إحساس داخلي إلى حالات نفسية وجّهت مسار الغيور وصاغت الأحداث حتى النهاية المأساوية.
- أدّى توظيف السرد البوليسي إلى أداء وظيفة تنسيقية توخّى من خلالها السارد إعادة تنميط هوى الغيرة داخل النص الروائي، وإكسابها بعدا تيميا جديدا يتّصل بسيميائيات الأهواء؛ إذ حرص على إخفائه منذ بداية الرواية، وتأجيل الكشف عنه إلى مراحل متقدمة لتفعيل الوظيفة التأثيرية لدى القارئ، ويدفعه إلى إعادة تأويل الوقائع وربطها بالغَيرة، الهوى المهيمن في المتن.

وختاما، تؤكد هذه النتائج ما افترضه"غريماس وفونتاني"عن قدرة سيميائيات الأهواء على تعيين آثار المعنى باعتبارها بنياتسميو–سردية يحملها الخطاب؛ أي إن الأهواء ليست ملكية قاصرة على الذوات وإنما هي ملكية الخطاب بكامله، وأن لها بنيات محايثة تتجلّى دلالتها في المسار الاستهوائي لرواية "حراس الأزقّة الضيّقة" كما تخيلها الروائي"بشير مفتي".

هوامش البحث:

– 1إبراهيم الحصري، المصون في سر الهوى المكنون، تحقيق عبد الواحد شعلان، دار سحنون للنشر، تونس، ط1، 1990، ص34.

– 2محمد بن منظور، لسان العرب، ج 15، دار صبح، بيروت، ط1، 2006، ص161.

3– إبراهيم الحصري، المصون، ص34.

4- الجيرداس. ج. غريماس وجاك فونتاني، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تر: سعيد بن كراد، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2010، ص39.

5- العادل خضر، يُحكى أن – مقالات في التأويل القصصي، دار المعرفة للنشر، تونس، ط 1، 2006، ص156.

-6 حسن مسكين وآخرون، الكرامات الصوفية المغربية، دراسات سيميائية، جذور للنشر، الرباط، ط 1، 2006، ص36.

7-محمد الداهي، سيميائيات الكلام الروائي، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، م، ص16.

8- ماهر بوصباط، نقد الحجاج وسيميائيات الأهواء من خلال كتاب البخلاء للجاحظ،الدار التونسية للكتاب، ط2015،1، ص170، 171.

9- جميل حمداوي، السيميوطيقاوالعنونة، عالم الفكر، الكويت، مج25،ع3، يناير، مارس1997م، ص90.

10- أسامة لنصاري، السيميائية وإنتاج الدلالة في الخطاب الشعري المعاصر مقاربة نقدية لقصيدتزورقالنبض للشاعر أحمد الغماري، مجلة آفاق علمية، الجزائر، مج18، ع1،2026،ص372.

11- غريماس وفونتاني، سيميائيات الأهواء، هامش ص14.

12- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج1،دار التراث العربي،بيروت، ط2، 1972،ص151.

13-بشيرمفتي، حراس الأزقة الضيقة، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1، 2025م،ص65.

14- الرواية، ص8.

15- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ص668.

16- غريماس وفونتاني، سيميائيات الأهواء، ص276.

17- الرواية، ص113.

18- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ص687.

19- الرواية، ص153.

20- محمد الداهي، سيميائية السرد بحث في الوجود السيميائي المتجانس، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2009، ص175.

21- الرواية، ص153.

22- الرواية، ص153.

23- الرواية، ص153.

24- الرواية، ص157.

25-الرواية، ص157.